

الخليج المصالحة المستحيلة إلا بالحدث المفصلي

كمال خلف

تندلع معظم الأزمات بين الدول عادة على قاعدة تضارب المصالح بينها ، خاصة على مناطق النفوذ والتاثير ، وهذا في صلب الأزمة الخليجية طبعاً ، ولكن في أزمة كتلك التي عصفت بدول الخليج الأربع السعودية والإمارات والبحرين من جهة وقطر في الجهة المقابلة ، ثمة ما هو أعقد من كونها أزمة بين دول تحت عنوان تضارب المصالح ، إذ تدخل في هذه الأزمة عوامل إضافية تجعلها متفردة ، وتجعلنا غير متحمسين للراء التي تفيد أن الأزمة ستنتهي بالحوار أو بواسطة الولايات المتحدة راعية هذه الدول . قد يعتقد البعض أن المليارات التي ستدفعها قطر مقابل صفقة طائرات اف 15 للولايات المتحدة تنهي أزمته وحصارها حسب التسمية الرائجة ، إلا أننا لا نجد لها سوى ثمن قبضته إدارة ترامب كي لا تقف خلف الدول الثلاث ضد قطر ، وحتى ولو نجحت وساطة الإدارة الأمريكية فإننا مازلنا نعتقد أن الأزمة لن تنتهي ولو وصلت الوساطة إلى حد تبويس الشوارب واللى.

نحن أمام أزمة لها أبعاد عدة متداخلة ، الجانب الشخصي واضح فيها ، إذ يبدو التنافر كبيراً بين الجيل الجديد للحكم في دول الخليج وتحديدًا بين المحمدين في الرياض وأبو طيبي من ناحية وأمير قطر تميم في الجهة المقابلة ، ليس هذا فحسب إذ يدخل البعد القبلي المتجذر في الجزيرة العربية ، وهذا البعد الذي ترى فيه الرياض نفسها الأخ الكبير ، كان سبباً لتوتر العلاقة مع الدوحة على مدى العقود الماضية .

الأمر الآخر هو ما كشفته الأزمة من اتساع حجم الدسائس في الخفاء بين هذه الدول ، لعل التسريبات التي عرضتها القنوات السعودية للأمير القطري الأب تمثل جزءاً ، ومضامين بريد السفير الإماراتي في واشنطن الذي تم اختراقه مثلاً آخر . هذه التصرفات لم تكن وليدة الأزمة الراهنة ، إنما مسارات عميقة في سياسيات الأطراف حيال بعضها . هي تنم عن احقاد كامنه تتجاوز الخلاف السياسي وفق قاعدة تضارب المصالح .

هذا عوامل اذا ما أضيفت لتضارب المصالح السياسية و السياق للحضور والتاثير في أزمات المنطقة ، ومنهج السعودية الراهن في إمساك ناصية الأطراف بالكامل لقيادتها نحو استراتيجية خاصة بها ، تسعى

لفتح مواجهة كبرى مع إيران . كل هذا يدفعنا إلى الاعتقاد أن الأزمة لن تنتهي بالمصالحة ، ولا ننكر أن مثل هذه المصالحة قد تحدث في أي وقت ، إلا أنها لن تكون إلا هدنة مؤقتة يستعد فيها كل طرف لمواجهة جديدة .

ما كشفته الأزمة أن لقطر امتداد كبير خارج حدودها الصغيرة ، هي جهزت لهذا المخزون الاستراتيجي من النخب الفكرية والاعلامية ، والأحزاب والتيارات والشخصيات الفاعلة وقادة الرأي في الفضاء السياسي العربي ، وحتى ما قبل ما سمي بالربيع العربي ، وزادت من وتيرة تنظيم هذا المخزون أثناء انخراطها في لعبة الدم في الدول العربية لتضيف له بعدا مسلحا عبر منظمات ومليشيات ، وهؤلاء طهروا في الأيام الماضية كقوة متجانسة ، استطاعت أن تدير ماكينة التصدي للهجوم الإعلامي والدبلوماسي من السعودية والإمارات.

تحركوا كلا من موقعه ولكن كانت تحكمهم صيغ عمل وكأنهم تحت إدارة ما يسترو واحد ونجحوا بتقديرنا . في الحرب السورية والليبية كان هؤلاء يبدون ككتل وشخصيات مستقلة على امتداد جغرافي واسع ، حاولوا السيطرة على الرأي العام العربي وتوجيهه . وللاسف ضللوه . لكن الأزمة الخليجية وضحت الصورة وتبين أن هناك مخزون استراتيجي ومراكز قوة للدوحة وسياساتها و رؤيتها خارج حدودها .

نعتقد أن السعودية وحلفاءها في الخليج قد استفاقوا على هذا الواقع الجديد ، قطر لا تبتلع بسهولة ، وهذا بحد ذاته سوف يشجع دولا صغيرة أخرى وتحديدا الكويت وسلطنة عمان على مقاومة النفوذ السعودي . والتخلص من عقدة الخوف تجاهها ، وهذا يضع قادة الرياض أمام امتحان قلب هذه الوقائع بأي ثمن . انطلاقا من هذا التحليل ، فإن هذا النوع من الأزمات لا ينتهي إلا بحدث مفصلي يمس هذه الدول مباشرة في المنطقة ، حدث يعيد عداد الحسابات إلى الرقم صفر . ويمثل نقطة بداية ينطلق منها الجميع ، قد يكون هذا الحدث انقلابا في الحكم في إحدى الدول المعنية ، او اغتالا أو حربا في المحيط المباشر تستدعي اصطفا جديدا باندلاعها أو بنتائجها ، أما المصالحة بمعنى قلب الصفحة وفق الطرف الراهن فهي أمر مستبعد .

اعلامي وكاتب فلسطيني